٧
قصص الصحابة
عبد الرحمن بن صخر (أبو هريرة)
(رضى الله عنه)
عماد الشافعى
المركز العربى الحديث

«عبد الرحمن بن صخر»
أبو هريرة

كَانَ عبدُ الرحمن بنُ صَخْرٍ راعياً للغَنمِ، وكان فَقيراً يَتيماً يَصْحُو من نومه مع بُزوغِ الفَجرِ، ويَسْرحُ بغنمه فى البَادية.

وفى شعَاب تُهامة[1] كان يَقْضى يَومهُ؛ حيثُ يَتفقدُ أماكنَ العُشْبِ ومَواضعَ القَطْرِ، يُطعمُ أغَنامهُ ويَسقيها ويَجزُ صُوفها ويَحلبُ لَبنها، ثمُ يعودُ آخرَ النَّهار إلى أُمه مكْدوداً مُتْعباً يَحْملُ لها وِعاءاً به لَبن.

وذاتَ مساء كان الشَّابُ «عبد الرحمن» عَائداً من عَمله عندما التقى به «الطُّفيلَ بن عمرو الدُّوسىِّ» فى الطريق. فَحيا كلاهما الآخرُ، ودعاهُ الطفيلُ لزيارته.

كان الطفيلُ بن عمرو رجلاً شَريفاً شَاعراً مضْيافاً، وكان عَائداً لتوه من رِحلةٍ إلى مكةَ لزيارةِ الكعَبةِ، جلسَ الرَّجلانِ فى دَار الطُّفيل.

قال الطفيلُ: ذَهبتُ إلى مكةَ، ونزلتُ قُربَ الكَعبةِ فإذا برِجالٍ

---

(١) تهامة: السهل الساحلى للحاذى للبحر الأحمر من ناحية اليمن.

من قُريش يُحذروننى من رَجُلٍ يُدعى «مُحمدٌ».

قال عبد الرحمن: وماذا أخبروكَ عن هَذا الرَّجل؟

الطفيل: قالوا لى هَذَا رجلٌ فَرَّقَ جَماعتنا وشَتَّتَ أمْرنا وإنما قَولُه كالسِّحر يُفرق بين الرَّجل وأبيه، وبين المَرءْ وزَوْجه. وأرادوا بذلكَ مَنْعى عن لِقاء هذا الرُّجل.

عبد الرحمن: وهَلْ صَدَّقتهم؟

الطفيل: نعم.. صَدَّقتهم وعَزمَتُ على ألا أستمعَ لهذا الرجل الذى يُدعى «مُحمدٌ» حتى لا أُؤخذ بِسحره - كما يزعمون، لكنَّ ما حدثَ كان عَجيباً!

عبد الرحمن: وماذا حَدَثَ؟!

الطفيل: ذَهبتُ ذاتَ يومٍ إلى الكَعبة، فرأيتُ هذا الرَّجلَ يُصلى وعليه جَلالٌ وَوقارٌ، فأُعجبت بهيئته وبصلاته، واستمعتُ إليه.. فحدَّثنى عن الإسلامِ، ذلكَ الدِّين الذى يَدعُو إلى المُساواة والعدل ومكارمِ الأخلاقِ. ويدعُو إلى عبادة الله وَحْده، وتَرْكِ عبادة الأصنام.

وعندما سألتُ بعضهم عن «مُحمد»، أخبرونى أنهُ صَادقٌ أمينٌ. فأدركتُ أن قُرَيْشاً تُحارب محمداً خَشيةَ انتشارِ دَعْوته.

وعَلمَ النبى أننى من قبيلة دَوْسٍ فى تُهامة، ودَعانى إلى الإسلامِ. فآمنتُ بدعوته وأسْلمتُ. وسألتُ النبى: ماذا أفعلُ؟

فقال النبىُّ: أُخرجْ إلى قَومكَ فَادعهم وارْفُق بهم

فقلت: يا رسولَ الله أخْشىَ ألا يُصدقنى منهم أحدٌ. ادعُ الله لى.

فقال النبى: اللهُمَّ اهْدِ دَوْساً وائْتِ بها.

انْشرحَ صدرُ «عبد الرحمن» لكلامِ الطُّفيل، واستمعَ إلى آياتٍ من القرآن ـ حفظها الطُّفيل عن رسول الله، فأعجبتهُ وتمنَّى أن يَلْقى النبى، وأن يَنْهل من فيضِ حِكمتهِ وعِلْمه. وأسْلَم عبدُ الرحمن بن صخر.

استمر الطُّفيل فى دعوة عَشيرته إلى الإسلام صابراً عليهم، حتى استجاب له سَبْعُون بَيْتاً من أهلِ اليمن.

أثناءَ ذَلكَ، كان النَّبىُّ قد هَاجَر إلى المدينة ووقعتْ غزواتُ بَدْر وأُحُدٍ والخندَق. وأعدَّ المُسلمون فى اليَمن أنفسهم للهجرةِ إلىَ

النبى صلى الله عليه وسلم تاركين أهلَهم وديارهم .

ويَدخلُ المَوكبُ على رسول الله مُهللين مُكبرين . ويَجلسونَ بين يَديه يُبَايعونه . . ويَجْلسُ عبد الرحمن بن صخرٍ إلى النَّبى ويقولُ له :

- يا رسولَ الله إن أُمى سَيدةٌ عَنيدةٌ ، وقد دَعوتُها إلى الإسلامِ فلمْ تَستْجب وبَقيتْ على الشِّرك . وانني حَزينٌ لأجلها .

فقال النبىُ : أُرْفق بها ، وأصبر عليها .

واتْخذَ عبد الرحمنِ بن صَخْرٍ «الصُّفَة» مكاناً له لما كان عليه من فَقْرٍ . وكان بَاَراً بأمه . وكان يُلازمُ النبى لينهلَ من علْمه .

وذاتَ يَوْمٍ كان عبد الرحمن بن صخر فى طَريقه إلى المسجد فوجد قطةً صَغيرةً تموء مُواءً حَزيناً ، فأشفقَ عليها وقال فى نفسه : ربما تكونُ جائعةً مثلى ، أو فقدتْ أُمها !

وحَملَ عبد الرحمن القطةَ ووضعها فى كُمِّه ، ودَخلَ المسجدَ . ورآهُ النبىُّ يحملُ الهرَّةَ الصَّغيرةَ ، فسألهُ : ما هذا يا عبدَ الرحمن؟

قال : وجدتُ هذه الهرَّةَ يا رسول الله تشكو الجُوعَ ، فأخذتها لأُطعمها وأسقيها .

ضحكَ النبىُّ وقال مازحاً: يرحمكَ اللهُ. . أنْتَ أبُو هريرة!

شَعرَ عبد الرحمن بسعادةٍ. وجَلسَ بين الصَّحابةِ يُصْغى إلى ما يقولُه النبىُّ، ويَختزنُ فى ذاكرتِه كُل كلمةٍ.

وأصبحتْ الهِرَّةُ تُلازمُ عبد الرحمن بن صخرٍ «أبو هِرَيرةُ» فى كلِ مكانٍ.

***

وذاتَ يومٍ دخل رَجلٌ على النبى «وأبو هريرة» معه وسأله: يا رسول الله مَنْ من الناس أحقُّ بُحسْنِ صَحابتى؟

قال النبى: أُمكَ.

فقال الرجل: ثم أىْ؟

فقال النبى: أُمُّكَ.

فقال الرجل: ثم أىْ؟

قال النبى: أُمك.

قال الرجل: ثم أىْ؟

قال: أبوكَ.

عادَ أبو هريرة إلى داره، وراحَ يُطعمُ أمه ويرعاها.

وباتَ يدعو الله أن يَشْرح صَدرَها للإسلامِ. وفى الصَّباحِ قَدَّمَ لها الطعامَ وهو يُحدثها عن عَظَمة الإسلامِ وعن خُلق الرسول وحكمته، وعن مُتْعة النَّظرِ إلى رسول الله، ولَذَّةَ الإصْغاءِ إلى حُلْوِ كَلامه. ويقولُ: والله يا أمى لو رأيتِ النبى واستمعتِ إلى حديثه لأدركتِ كَمْ هى نِعْمةُ الإسلام!

وهُنا ثَارتْ الأُم وألْقَت الطَّعامَ غَاضبةً، وأسْمعتْ ابنها فى الرَّسولِ ما يكرهُ.

وكَتَم أبو هريرة غَيظهُ، وتركها باكياً حَزيناً، وأسْرعَ إلى مسجد الرسُّولِ. ورآهُ النبى فسأله: ما لَى أراكَ يا أبا هريرة ضَائقاً مَهْموماً؟!

قال أبو هريرة: يا رسولَ الله كُنتُ أدعو أُمى إلى الإسلامِ وكَانتْ كعادتها تَرفضُ، وعندما دعوتُها اليومَ ثارتْ وغَضبتَ وشَتمتكَ فادعُ الله أن يَهدى أُمى للإسلامِ.

فرفعَ النبى يديه إلى السَّماءِ وقال: اللهمَ اهْدِ أم أبَى هريرة إلى الإسلام.

وخرجَ أبو هريرة مُسْرعاً ليُبشر أمه بدعاء النَّبى لها، وعندما وصلَ إلى باب الدار، سَمِعَ خضخضةَ الماء، وقبل أن يَدْفعَ البابَ ليُدخل سَمِعَ أُمهُ تنادى: مكانكَ يا أبا هريرة!

فوقفَ أبُو هُريرةُ أمامَ الدَّار منتظراً، وعندما ارتدتْ أُمه ثيابها وخمارهَا خرجتْ وهى تقول: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن مُحمداً عَبدهُ ورسُوله.

وهَتفُ أبو هريرةُ: الله أكبر! وراحَ يُقبَلُ أمهُ بفرحة طَاغية وهو يُردِّد: الحمدُ لله.. لقد دعَا النبىُ لك يا أُمى وأجَابَ الله دَعوتَهُ.

وعادَ أبو هريرةَ مُسْرعاً إلى رسَول الله وهو يَبْكى من الفَرحة ودَخل عَلى النبى هو يقولُ:

- أبْشر يا رسولَ الله قَد أجَابَ اللهُ دعوتكَ. قد هَدى اللهُ أُمَّ أبى هريرة إلى الإسلام.

ثم قال: يا رسُولَ الله أُدْعُ اللهَ أن يُجيِّبنى وأُمى إلى المؤمنينَ والمؤمنات.

فقال النبىُّ: اللهَّم حَبِّبْ عَبْدكَ هذا وأُمُهُ إلى كلِ مُومنٍ ومُؤْمنة.

وعَاشَ أبو هريرةَ فَقيراً صَابراً على فَقْرِه، مُؤْثراً نَعيمَ الآخرةِ على نعيمِ الدُّنيا.

وكان مُلازماً للنَّبى فى المسَجد يتعلَّم العلمَ، ويَحفظُ أحاديثَ الرسولِ وكَلامه، وكان لا يَجدُ عَشاءَهُ أحياناً، ويطوى نهاره جائعاً.

خرجَ ذاتَ يومٍ من بيته إلى المسجد ساعةَ الظهيرة هو يتلوى من الجوُعِ، وهُناك وجد نَفَراً من أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلمَ، فسألوه: ما الذى أخرجك هذه الساعة يا أبا هريرةَ؟

قال: واللَّه ما أخَرجنى إلا الجُوعُ!

قَالوُا: ونَحنُ واللَّه ما أخَرْجنا إلا الجُوعُ.

قالَ أبو هريرة لهم: هَيَّا بنا إلى رَسُولِ الله.

واستقبلهم النبىُّ مُرحباً، ودَعا بَطبقٍ فيه تَمْرٍ، فأعطى كُلَّ رجلٍ منهم تَمرتين وقالَ: كُلوا هاتين التَّمرتين، واشربوا عليهما من الماء، وستَشْبعون بإذن الله.

فأكل أبو هريرة تمرةً، وأخْفى الثانيةَ فى جَيْبه، فرآهُ النَّبىُ، وسأله: لِمَ أبقيتَ هذه التَّمرة يا أبا هريرة؟

فقال: أبقيتُها لأُمى.

فَضحكَ النبىُّ وقالَ: كُلْها، وسأُعطيكَ لأُمكَ تَمرتين.

***

وظَلَّ أبو هريرة يَبْحثُ عن عَملٍ يرتزقَ منهُ حتى وَجدهُ أخيراً عند إمرأة عربية تُدعى «بُسْرةُ بنت غَزْوان». وكان يَعملُ عندها فى مُقابل طعَامه وكسَائه وطعامَ أُمِّه، حيثُ يخدمُ قومها إذا نَزلوا ضُيوفاً عليها، ويَحْدوُ لإبلهم إذا ركبوا ورَحلوا.

وحَمدَ الله على أن يَسَّرَ له عَملاً يقيه مُرَّ السُّؤال وألَم الجُوعِ.

وعَاش قانعاً باليسير من الرِّزق، وشَغُوفاً بالعلم وراغباً فى حفْظ أحاديث النبى. ولاحَظتْ «بُسْرةُ» على أبى هريرة سُرعةَ بَديهته، وقُوَّة ذاكرته وشدَّةَ إيمانه بربه، كما أعْجبها منه عُلُوَّ همَّته فى أداء عمله وفى حفْظ كتاب الله، وأحاديثَ الرسُّول. فأحَبَّتهُ وتَزوجتُه، وعَاشَ مع زوجته هَانئاً قريرَ العين.

دَخل النبى ذَاتَ يومٍ المسجد فوجدَ أبا هريرة وزيدَ بن ثابتَ ورجُلاً ثالثاً يَذكُرون اللهَ ويَدعَونه، فألقى عليهم السَّلامَ، ثم جَلسَ بينهم، فسكتُوا!

فقال النبىُ لهم : عُودوا إلى الذى كُنتم فيه .

فقال الرجلان : اللهَّم إنا نسألكَ من فَضْلِكَ العظيمِ .

فقالَ رسولُ الله : آمين .

ورَفعَ أبُو هريرة يدهُ وقال : اللهمَّ إنى أسْألُكَ ما سألكَ صاحباى وأسألك علماً لا يُنْسَى .

فقال النبى : آمين .

فقالَ زيدُ وصَاحبهُ : يا رسولَ الله ، ونحنُ نسأل الله علماً لا يُنْسَى .

فقال النبى : سبقكم بها الغُلامُ الدُّوسىُّ !

***

ومَاتَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ويَحزنُ أبو هريرة على فِراقه مثلما يَحزُن كُلُّ الصَحابة . ويَلى الخلافةَ أبو بكرِ الصِّديق ، ويقاتلُ أبو هريرةُ مع المسلمين فى حُروب الرِّدة .

كان أبو هريرة كريماً يأتيه الضَّيفُ من إخوانه فيبعثُ إلى زوجته أو إلى أُمه ، فتأتيه إحداهما بالطَّعامِ ويَضعهُ بين أيديهم . ويتذكرُ أيامَ

الفَقْرِ والجُوعِ فيصيحُ فجأةً: اللهُ أكبر!

فيتعجبَ الضُّيوفُ ويسألونَ بدهشة: ما لكَ يا أبا هريرةَ؟!

فيقولُ: الحمدُ لله الذى أشْبعنا من الخبزِ بعد أن كانَ طعَامنا الأسودين.. التَّمرُ والماءُ.

خرجَ أبو هريرة فى هَدْأة الليلِ يَسيرُ فى شوارع المدينة مُفْكراً، يردِّدُ فى سرِّه أذكارَ المساء.. «أمْسينا وأمسى المُلْكُ لله، والحمدُ لله لا إله إلا هُو واليه المصيرُ.. اللهم إنى أمْسيتُ منكَ فى نعمة وعافية وسِتْر، فأتمَّ علىَّ نعمتكَ وعافيتكَ وستركَ فى الدُّنيا والآخرة».

وهُنا تذكر أبو هريرة أيامَ الفقرِ والحرمانِ والجوعِ.. فأطلقَ صَيحةً عاليةً: اللهُ أكبر!

ويَسمعهُ رجلٌ فينزلُ عن بعيره ويأتيه مُسْرِعاً، مَدْهُوشاً: مَنْ؟!.. أبو هريرة.. ما هذا التكبيرُ؟!

فيقول أبو هريرة: شُكْرٌ..

الرجلُ: عَلى ماذا؟

أبو هريرة: كنتُ أجيراً لبُسْرةَ بنتِ غَزْوانَ، فَجعلَها اللهُ زوجةً

لى، وأنا أحْمدُ اللهَ على نعمة الغنى بعد فَقْرٍ.

وأصبحَ أبو هريرة يجلسُ فى المسجد النبوىِّ إلى جانب الحجرةُ المُشرفة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيأتيه طُلاب العلمْ من كل مكان يستمعون إليه ويكتبونَ عنهُ.

ومات أبو بكر الصِّديق، وَولى الخلافةَ عُمر بن الخطاب، فولاهُ إمارةَ البَحْرين، فمكثَ أبو هريرة هُناكَ مُدةً ينشرُ العلمَ، ويُصلى بالنَّاس، ويُتاجرُ بماله حتى أصْبحَ لديه عَشْرةُ آلاف درْهم.

وعَلمَ أميرُ المؤمنين بذلك فغَضبَ ودعَاهُ إلى المدينة، وسأله عُمر: يا عَدُو الله وَعدْو كتابه. أسرقَتْ مالَ الله؟

قال أبو هريرة وَاثقاً غَير غاضب: والله ما أنا بعدو لله ولا عَدو لكتابه، لكنى عدوُ من عاداهما، ولا أنا مَنْ يَسرقُ مالَ الله.

فقال عمر: فمن أين اجتمعتْ لكَ عشرةُ آلاف درهم؟

فقال: خَيْلٌ لى تَناسلتْ، وعَطايا تجمَّعت، وكنَتُ أتجرُ بمالى فأربحُ.

قال عمر: أظَلمتَ أحداً؟

قال أبو هريرة: لا.

قال عُمر: خُذ رأسَ مالك ورزقكَ، واجعل الآخرُ فى بيتِ مال المُسلمين.

أبو هريرةَ: سَمْعاً وطاعةً يا أمير المؤمنين.

وخَرجَ أبو هريرة وهو يُردِّد: اللهَّم اغْفر لأميرِ المؤُمنين، بعثَنى للإمارةِ وأنا لها كَارهُ، ونَزَعنى منها وَقْد أحَبَبتُها.

مَشَى أبو هريرةَ وَانياً حَزيناً حتى وَصَل إلى بيتِ أُمَّه، ووقفَ على بابها وقالَ: السَّلامُ عليكِ يا أمى ورحمةُ الله.

فقالتْ: وعليكَ السلام يا بُنى ورحمة الله.

فقَبّلُ رأسها وهو يقُولُ: رَحمكِ اللهُ كما ربَّيتنى صَغيراً.

قالتْ الأُمُّ: رَحمكَ الله يا بُنىَّ كما بَرَيتنى كبيراً.

وتذَّكرَ أبو هُريرة كلامَ حبيبهِ رسَولَ الله حين سألهُ: ما تأمرنى؟

فقال النبى له: برَّ أُمكَ.

وراح يُردِّدُ فى سرِّه: نعمَ. . برُّ أُمى بابُ من أبوابِ الجنة.

وصلَ أبو هريرةُ إلى دَارِه وهو غَارقُ فى التفكير والأسَى.

وألقَى السَّلامَ على آل بيته، فجاءتُه ابنتهُ تَمشْى على استحياء،

ففهم أنها تُريدُ شَيْئاً فسألَها: ما لَكِ يا بُنَيَّتى؟

قالتْ بصوتٍ واهَنٍ: يا أبتِ إن البَناتَ يُعيرننى.

فسألها مُتعجباً: يُعيرنك.. بماذا؟!

قالتْ: قلن لى لِمَ لا يُحليك أبوكِ بالذَّهبِ؟

رَبَّتَ أبو هريرة على ابنته وقبَّل جَبينها فَتَحدرتْ من عينه دَمْعةً مَسَحها على عَجَلٍ ثم قالَ لها: يا بُنيةُ لا تَبتْئسى.. قولى لهن إن أبى يخشى علىَّ حَرَّ الذَّهبِ.

ألقَت الفتاةُ برأسِها فى حُضنِ أبيها وهى تَشْعُر بدفءِ الإيمان وسُموِّ التَّقوى.

***

أرسَلَ عُمر بن الخطاب إلى أبى هُريرةِ وعَرضَ عليه الولايةَ من جَديد. فردَّ عليه أبوُ هريرةَ شَاكراً مُعْتذراً.

فسأله عُمر: تكرهُ العَملَ، وقد طَلبَ العَملُ من كان خَيراً منكَ.. يُوسفُ عليه السَّلام؟!.

قال أبو هريرة: يُوسفُ نبيّ ابنُ نَبيّ، وأنا أبو هُريرةُ ابن أميمة، وأخْشى من عملكم ثَلاثاً واثْنتَين.

تَبسَّم عمرُ وقال: فهَّلا قُلتَ خَمْساً.

قال أبو هريرة: لا.. أخافُ أن أقولَ بغير علمٍ، وأقْضيَ بغيرِ حِلْمٍ، وأن يُضرب ظَهرى، ويُنزع مالَى، ويُشْتَم عِرْضى.

وانتقلَ أبو هريرة مع جُيوشِ المُسلمينَ فى العراقِ ودمَشق ومكَثَ هُناكَ مُدةً يُجاهدُ فى سَبيل الله، وكان يُحدث النَّاسَ عما سَمِعُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم عَادَ أبو هريرةَ إلى المدينة فى خِلافةِ عُثمانَ بن عفانٍ.

ويَمرضُ أبو هريرة بعد أن جَاوزَ السبَّعين من عُمره، وتَسهرُ زَوجُته على رعايته، ويلتفُ أولادُه من حَوله، المُحرِّر وعبد الرحمن وبلال يُخففون عنه، وتقفُ ابنته المؤمنةُ تنظر إليه بُحبٍ وعَطْفٍ وتدعوُ الله له بالشِّفاءِ.

ويزورهُ الصحَّابهُ، ويزورهُ مروان بن الحكمِ والى المدينة، وراح أبو هريرة يُردِّدُ: «اللهم إنى أُحب لِقاءكَ فأحبّ لِقائى»

ويبكى أبو هُريرة وتسألُه ابنتهُ التى يكادُ يَنْخلِع قلبها من الفَزَعَ:

- ما يبْكيكَ يا أبى؟!

فيقولُ لها من بين دُموعه: أنا لا أبْكى يا بُنيتى على دُنياكم هذه، ولكنى أبكىْ لبُعدِ سَفَري وقَلَّة زَادى!

ويَشتَدُّ شَوقُه للقاء الله فيرددُ:

اللهمَّ إنى أُحبُ لقاءَك، فأحبَّ لقائى.

وتخرجُ روُحُه الطاهَّرةُ ولسانُه يَلْهجُ بالاستغفارِ والرَّجاءِ فى عَفْوِ اللهِ. ويُدفنُ فى أرْضِ البقيعِ مع أصحابِ رسَوُل الله الأبرار.

تمت بحمد الله تعالى